بِسمِ اللّه الرَحمن الرَحيم

أسباب المصائب وسبل النجاة

١- من المسلمات أنّ لله تعالى له ملك السماوات والأرض، ويدبر أمر كلّ شيء فيهما، ولا يكون أي شيء فيهما من مصيبة سواء سحر أو عين أو أذى من جراثيم أو فيروسات أو زلزال أو بركان أو أعاصير إلّا بإذن الله تعالى ومشيئته وبعلمه وعدله وحكمته ولا يظلم ربك أحدا.

٢- وسبب نزول المصائب على النّاس أمّا أن يكون جزاءً على أعمالهم لقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}﴿٣٠﴾ أو أن يكون ابتلاء وامتحانا لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}﴿٣٥﴾ أو كلاهما جزاءً وابتلاءً، فإن كان جزاءً فالغاية من المصيبة أن يرجع النّاس إلى تعاليم الله تعالى فيما أمر ونهي لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿١٦٨﴾ ولقوله تعالى في سورة الروم:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي ذهبت كثير من بركاتهما{ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} من ذنوب ومعاصي{ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٤١﴾ ولقوله تعالى في سورة السجدة:{ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى}

في الدنيا{ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٢١﴾ ولقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ} في الدنيا{ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٤٨﴾ ولعلهم يتضرعون لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ}﴿٩٤﴾ ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}﴿٤٢﴾ ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٤٣﴾.

٣- أو أن تكون المصيبة ابتلاء وامتحانا ليتبيّن أيهم أحسن عملا لقوله تعالى في سورة الملك:{ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}﴿٢﴾ وليتميّز الصادقين عن الكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}﴿٣﴾ ولقوله تعالى في سورة محمد:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}﴿٣١﴾ وبشرى للصابرين كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}﴿١٥٧﴾ ولتكفير السيئات لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب(الوجع) ولا هم(القلق) ولا حزن ولا أذى ولا غم(الكرب) حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه".

٤- وغاية الله تعالى من شرائع الدين أن يُسعد النّاس في الدينا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} في الدنيا{ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾ ولقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ} في القرآن{ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ}﴿٦٦﴾ فحرمهم الله تعالى من كثير من الخيرات بسبب إعراضهم عن دينه تعالى.

٥- وبيّن الله تعالى أنّ المصائب سيستمر نزولها بمن يكفر حتى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّه لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}﴿٣١﴾ وحتى يتشاءم الكفرة المكذبين من أهل الحق لقوله تعالى في

سورة يس:{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}﴿١٧﴾ فلمّا بلغوهم وأنذروهم من عقوبات الله تعالى ونزلت عليهم{ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} أي أنّ ما تشاءمتم منه هو بسبب كفركم وإعراضكم عن هدي الله تعالى{ أَئِن ذُكِّرْتُم} أي أتقولون ذلك بسبب أن ذكرتم ووقع عليكم رجس أعمالكم{ بَلْ} الحقيقة{ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}﴿١٩﴾ في كفركم ومعاصيكم وإعراضكم عن هدي الله تعالى.

٦- فسنن الله تعالى وجزاءاته من خير أو شر مستمرة في كلّ فرد من النّاس لا تنقطع أبدا حتى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}﴿١٢٣﴾ ويُحشر يوم القيامة مبصرا{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} وضيق وشدّة وشقاء وصعوبات{ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}﴿١٢٤﴾ ولن يجعل الله تعالى حياة وممات مجترحي السيئات كالذين آمنوا وعملوا الصالحات لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء

مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾ ولقوله تعالى في سورة الليل:{ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}﴿٧﴾ في الدنيا والآخرة{ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(﴿١٠﴾) في الدنيا{ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى}﴿١١﴾ في جهنّم في الآخرة، ولقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} من الخير في الدنيا قبل الآخرة{ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}﴿٧﴾ في الدنيا والآخرة، ولقوله تعالى في سورة الشمس:{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}﴿٩﴾ في الدنيا والآخرة{ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}﴿١٠﴾ في المعاصي في الدنيا والآخرة.

٧- فسبل النجاة من المصائب التمسك بالدين بقوة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}﴿٦٣﴾ ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ}﴿٩٣﴾ ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}﴿١٤٥﴾ ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ

وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}﴿١٧١﴾ ولقوله تعالى في سورة مريم:{ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً}﴿١٢﴾ ولذلك شرع الله تعالى إقامة الدين في الأرض في قوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ} فاجتباكم يا أمّة محمد ﷺ{ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}﴿١٣﴾ فمن المهم الاستمساك بشرائعه، وتَعلم عُلومه وتعليمه، ودعوة الناس له كلٌّ بحسبه لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ}﴿٣٣﴾.

٨- وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستدامة القيم في المجتمعات، وهو صفة هذه الأمة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ...}﴿١١٠﴾ والذي حذّر من تركه لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها} القائمون على حدود الله تعالى{ وبعضهم أسفلها} وهم الواقعون في حدود الله تعالى{ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في

نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

٩- فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب العقوبة لما ورد في شعب الإيمان للإمام البيهقي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{ يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولا ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم فيقتل بعضهم بعضا"، ولا يستجيب الله تعالى دعائهم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ} ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبي ﷺ قال:{ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوما، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"}.

وإنّ المتأمل في العقوبات الإلهية والتي تسمى الكوارث الطبيعية من الزلازل والأعاصير والمصائب تقع على الناس جزاءات أعمالهم وإعراضهم عن هدي الله تعالى وهدي رسوله ﷺ أو ابتلاءات فنسأل الله تعالى الثبات على دينه وهدي نبيّه ﷺ وأن لا يزغ قلوبنا وأن يثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة وأن يلهمنا رشدنا.